الدكتور مُنيف الرزّاز



- ألف باء البعث
- الثورة والعقيدة



1986

ألف باء ... البعث

مقدمـــة

إن استمرارية(*) حزب البعث العربي الاشتراكي التي جعلت منه خلال ثلث قرن جزءاً لا يتجزأ من صمود الشعب العربي في وجه الصهيونية والاستعمار والرجعية والانفصالية ، يجب ان لا تكون مصدر رضى مبالغ فيه عن النفس ، أو سبباً لعدم التخلي عن عقلية التخلف والجرأة في مواجهة مشاكل الأمة ومشاكل الحركة الثورية العربية .

فحزب البعث العربي الاشتراكي يشعر أنه مطالب بمضاعفة وثباته الفكرية والعملية كلما تقدمت مسيرة الثورة العربية ، ليبقى في قلب الجماهير العربية وعقلها وروحها ، تلك الطليعة الثابتة المتجددة التي تخوض معركة المصير بقوة اصالتها الفكرية القادرة على ان تجنبها مزالق العقلية التجريبية عند كل ازمة وامام كل منعطف .

غير أن اصالة الحزب اذا كانت مبعث ثقة بالذات تتجسد في قدرة الحزب على التجدد مع بقائه كما هو من حيث الجوهر ، فالمفروض فيها ايضا ان تدفع بكل حزبي وبكل وطني الى ممارسة عملية نقد لحزب البعث تضعه باستمرار في مستوى مهمته القومية والتاريخية . •

وقد خطا الحزب من جهته خطوات جدية في عملية النقد الذاتي ، فأقر مؤتمره

(*) نشرت في جريدة « الاحرار » بيروت (٢٠ اذار ١٩٧٠)

القومي الثامن نقداً واضحاً وموضوعياً لحكم الحزب في العراق عام ١٩٦٣ ، كما أقر في مؤتمره القومي التاسع نقداً لتجربة الحكم في سوريا .

ولكن في نفس الوقت الذي تنصب فيه الجهود على اكتشاف نقاط الضعف والعيوب في الحزب ، يجب القيام بعملية اخرى هي عملية توضيح حقيقة الحزب في وجه حملات عنيفة ومتجنية تعرض لها حزبنا كما لم يتعرض حزب آخر .

إن هذه الحملات ، وإن كانت في الظاهر موجهة ضد سلبيات في الحزب ، واقعية او مفتعلة ، الا انها في الحقيقة موجهة في اغلبها ضد ذلك الشيء السليم والثابت والمستمر في حزب البعث ونعني به جوهره كحركة تاريخية في سبيل وحدة الأمة العربية وحريتها واشتراكيتها .

والقصد من هذه الحملات هو زرع الحواجز بين الشباب العربي وفكرة حزب البعث ، هذه الفكرة التي تجعل من الشباب العربي مدركاً القوانين المحركة للواقع العربي ، ممسكاً بطريق المستقبل .

لذلك وبدلاً من أن يكون الحديث هو عن دور حزب البعث في معركة المصير العربي على أرض فلسطين على ضوء التزامه بالمنطلق القومي في الكفاح الشعبي المسلح ، وبدلاً من ان يكون الحديث عن نضال حزب البعث في لبنان ضد النظام الذي يشكل بالحلف الظاهر الذي يجسده بين الأقليمية والطبقية ، أكثر من أي نظام عربي آخر ، النظام النقيض لدعوة حزب البعث العربي الاشتراكي القائم على ربط النضال الوحدوي والنضال الاشتراكي .

بدلاً من ذلك كله ، اخترت أن يكون حديثي في هذا اللقاء عودة الى الأصول والمبادىء ، تمهيداً لمناقشة مواقف الحزب من كافة القضايا في نهاية الحديث .

١ ـ البعث حركة عقائدية

البعث حركة عقائدية . حركة ذات عقيدة .

العقيدة هي حصيلة الدراسة العلمية للتاريخ . للقوى الفاعلة فيه . لتصارع هذه القوى . للقوانين المسيرة لها . وبالتالي هي الخلاصة المستنتجة من تجربة العالم

التاريخية . خلاصة معنى التاريخ .

بذلك تصبح العقيدة اداة علمية لتحليل المعنى التاريخي للواقع القائم . وتكون نبراساً لاستشراف المستقبل .

العقيدة ، اذن ، في مستوى العلم . تكتشف قوانين التاريخ ولا تضعها .

وكما ان قوانين العلم متطورة حتمياً ؛ تقود الى اكتشافات جديدة ، وتتطور هي نفسها بهذه الاكتشافات .

كذلك قوانين التاريخ متطورة حتمياً ، متأثرة بتطور التاريخ ، قابلة للتعديل .

مع فارق اساسي . فمادة العلم هي الطبيعة . وقوانين الطبيعة ثابتة . اكتشافنا لهذه القوانين هو المتطور فيها .

ومادة التاريخ هي المجتمع الانساني . والمجتمع الانساني نفسه متطور غير ثابت . ومن هنا فليس اكتشافنا لقوانينه فحسب هو القابل للتطور ، بل قوانينه نفسها .

من هنا ، فإن صاحب العقيدة مضطر الى أن يطور عقيدته أي قوانينه مع تطور التاريخ .

فالبعث عقائدي . ولكنه ليس مذهباً جامداً (دوغمائياً) .

البعث ينطلق من أن العالم بشكل عام ، والتاريخ بشكل خاص ، حركة دائبة .

الحركة هي نتيجة تصارع قوى . وليست مجرد تصاعد مستمر .

كل مرحلة تاريخية هي رد فعل لمرحلة اخرى واوضاع معينة تجاوزت حاجة المجتمع المتطور اليها .

كل مرحلة تاريخية مستمرة ، لذلك ، من المرحلة التي سبقتها ، نابعة من احشائها . ونقيضة لها في نفس الوقت . أي ثورة عليها .

ولكن المرحلة التاريخية الوليد تتجاوز ، في عملية نموها ، الاوضاع التي ولدتها ، تتجاوز عملية رفض السابق . لتصبح وضعاً جديدا له خصائصه الذاتية .

هذه الخصائص ، جذورها في المرحلة التي سبقت فروعها في مرحلة المستقبل .

البعث ولد في بلد متخلف واقع تحت نير الاستعمار . مثله في ذلك مثل معظم البلدان في العالم الثالث .

ومن خلال رد الشعوب على تحدي الاستعمار ، اكتشف البعث معنى الصراع بين الاستعمار من جهة ، وبين القوى المقاومة للاستعمار من جهة اخرى .

اكتشف معنى الصراع القومي ، معنى التناقض الأول والأساسي الذي يحرك المجتمع في العالم الثالث .

ادرك قيمة المحرك القومي ، القوة الدافعة لكل حركة تاريخية .

ادركها ، لا بشكل قوة مناقضة للاستعمار فحسب ، لا كرد فعل سلبي فحسب ، بل ادركها كذلك في وجهها الايجابي ، كقوة حضارية بناءة تطلق الطاقات الثورية الكامنة في الشعوب المتخلفة المستعمرة ، تفتح امامها الآفاق لبناء عالم خال من الاستعباد والاستغلال بكل انواعها ، سواء كان استعباد واستغلال شعب لشعب ، او طبقة لطبقة او فرد لجماهير .

القوة القومية ولدت مقاومة للاستعمار تبغي التخلص منه . نقيضاً له . وتحولت في نموها ، لتصبح القوة الدافعة وراء كل بناء تقدمي .

ومن خلال التناقض الأساسي اكتشف البعث كل التناقضات الأخرى المتفرعة عنه .

تناقض المصالح القطرية الجزئية مع المصلحة القومية الكبرى .

تناقض العلاقات الفرعية ، كالطائفية والعنصرية والعشائرية ، مع العلاقة القومية الوحدوية .

تناقض الكبت والدكتاتورية مع حرية الجماهير .
تناقض الملكية الفردية مع هلكية المجتمع .
اكتشاف الصراع الطبقي من خلال الصراع القومي .

ادرك أن موقف الطبقات المالكة لأدوات الانتاج ، الأرض ورأس المال ، ليس

موقفاً من الملكية مناقضاً لمصلحة الطبقات الكادحة وأهدافها فحسب ، بل هو ، الى ذلك وفوق ذلك ، موقف من القومية ، من الحركة القومية التحررية من الاستعمار ، من التجزئة ، من الحرية ، من الثورة ، مناقض لأهداف حركة الجماهير القومية .

ادرك أن الدافع القومي للطبقات المالكة (الاقطاع ، والرأسمالية) مخنوق ، حتماً بمصالح هذه الطبقات المادية . وأن موقفهم من القضايا القومية تتأثر مصالحهم بهذه القضايا .

ادرك أنه من خلال الجماهير فحسب ، الجماهير المتناقضة مصلحتها مع مصلحة الاستعمار وضد التخلف .

وإن المعركة التي تخوضها الجماهير ضد الاستعمار تقودها حتماً الى أن تخوض المعركة ضد كل القوى الممالئة للاستعمار والمرتبطة مصالحها بمصالحه .

وإن الصراع الطبقي هو وجه آخر للصراع القومي .

٢ ـ البعث حركة نضالية

لو كان البعث عقيدة فحسب ، لكان مدرسة فكرية فحسب . ولكنه الى جانب ذلك ، نضال .

من حيث هو عقيدة ، فهو علم ووعي .
من حيث هو نضال ، فهو حركة وقوة فاعلة . .

نضاله نابع من وعيه للتاريخ ، ومن كونه قوة فاعلة فيه ، لا متفرجاً على احداثه .

نضاله عقائدي بمعنى أن نضاله ليس اعمى . إنه يسترشد بتجارب الانسان الماضية . فيدرك غايات نضاله ، ويدرك وسائل نضاله ، ويستعملها .

وكما أن العقيدة تنير سبيل النضال ، فممارسة النضال تعمق معنى العقيدة وتوضحها ، وتطورها .

غايته من النضال أن يكون القوة الدافعة لتحقيق حتميات التاريخ المقبلة .

وسيلته في النضال خلق القوة الجماهيرية القادرة على تحقيق هذه الغاية .

النضال ليس وسيلة لتحقيق اغراض النضال المعلنة ، فحسب .

النضال المسلح بالعقيدة ، الذي تخوضه الجماهير ، هو السبيل الوحيد لتحرير هذه الجماهير من قيودها التي تمنع اطلاق قواها الكامنة . هو الذي يفتح طاقاتها ، ويطلق امكاناتها .

خوض النضال ، الواعي في ذاته ، خلق للأمة التقدمية التي يحتم التاريخ نشوءها .

الجماهير ، بعد النضال ، ليست هي الجماهير ذاتها قبل النضال .

البعث يدرك أن حتميات التاريخ لا تأتي اوتوماتيكا .

حتميات التاريخ محصلة قوى دافعة الى الامام ضد قوى تشد الى الوراء . .

واجب البعث خلق القوى الدافعة . اختصار التاريخ ، تحقيقه . .

من اجل ان يكون البعث قوة ، لا بد أن يكون اولاً تنظيماً . أي أن يكون حزبا .

واجب الحزب الأول تنظيم الشعب وتعبئته حول العقيدة التاريخية السليمة ، واستنفار قواه وتحريكها ثورياً من أجل المشاركة الفعالة في الثورة .

الحزب ليس فئة متميزة عن جماهير الشعب . ليس بديلاً لها . ليس فوقها ولا وصياً عليها .

انه الطليعة النابعة من صفوف الشعب نفسه ، تميزت بوعيها التاريخي بتنظيمها ، بأصالة ثوريتها .

ميدان عمله ، جماهير الشعب .

مقياس نجاحه في رسالته مقدار التفاف جماهير الشعب حوله ، مؤمنة بما يؤمن مناضلة معه في ميادين النضال .

قوة الجماهير وقدرتها على التحرك الثوري ، قوة كاملة .

قد تركن الجماهير الى التواكل والاستسلام ومستلزمات الحياة اليومية على رغم كل الكبت والحرمان والاستغلال الذي تئن تحت نيره .

مجرد الانتساب الى الجماهير الكادحة ليس انتسابا للثورة .

وقد تنفجر الجماهير في ثورات عفوية من غير توعية سابقة ومن غير تنظيم .

مثل هذه الثورات العفوية لا تؤتي ثمارها . تخمد قبل أن تنضج .

واجب الطليعة اولاً : تحريك روح الثورة ، لتتحول القوة الكامنة الى قوة فاعلة .

ثانياً : تنظيم هذه القوة من اجل ان تكون مثمرة .
ثالثاً : وضعها على الطريق التاريخي السليم .

العلاقة بين الجماهير وبين طليعتها علاقة متبادلة .

فكما أن الجماهير بدون طليعتها قوة كامنة ، او قوة فاعلة مهدورة .

كذلك الطليعة بدون جماهير ، ثورة نظرية ، ثورة على الورق .

محاربة التنظيم الحزبي محاربة لتنظيم الشعب .

شعار اللاحزبية شعار ضد فاعلية الجماهير الثورية المنتجة .

اللاحزبية شعار دكتاتوري .

٣ ـ البعث حركة ثورية

البعث ، من حيث هو رفض للاوضاع التي ولدته ، ومن حيث هو انفتاح لخلق اوضاع جديدة تقدمية ، هو ثورة ، وليس حركة اصلاحية .

الحركة الاصلاحية قبول لأسس الاوضاع القائمة ، ورفض لتفاصيلها .

الثورة رفض لوضع ، وانفتاح على نقيضه .

انسلاخ من القوى التي تشد الى الوراء . واقبال على قوى المستقبل .

الثورة لا تطرح جانباً واحداً من جوانب الاوضاع الفاسدة لتغيره .

إنها تدرك التلاحم الطبيعي القائم بين مختلف جوانب الاوضاع الفاسدة .

لذلك فرفضها لها رفض شامل .

وهدفها الذي تناضل من اجله ، هدف ، لذلك ، شامل .

ومن هنا ، فثورة البعث ثورة شاملة .

الثورة تستهدف رفض الاستعمار بأشكاله .

من تجزئة ، ومن أنظمة حكم فاسدة ومن علاقات اقتصادية تابعة .

وتستهدف رفض عوامل التخلف الداخلية ، وما يرتبط بها من علاقات اجتماعية مختلفة - كالطائفية والعشائرية والاقطاع - ومن نزعات مفرقة كالاقليمية والعنصرية .

والثورة تستهدف بناء مجتمع عربي موحد ، تسوده علاقات اجتماعية تقدمية ، ويختفي فيه الاستغلال الطبقي ، وتتفتح فيه طاقات الجماهير .

من خلال الثورة على المجتمع القائم ، من خلال ثورة الجماهير لرفض واقع فاسد ، لا يتغير هدف الثورة فحسب بل تتغير الجماهير نفسها .

تنقلب على ذاتها ، تتخلص من رواسب المجتمع الثائرة عليه ، والتي هي منه . وتصبح قادرة على بناء مجتمع جديد .

من خلال ثورتها على وضع تاريخها ، تحقق ثورة في ذاتها .

فتحقق ذاتا جديدة ، مبدعة خلاقة ، منصهرة في حركة التاريخ .

تخلق الانسان العربي .

عمق أي ثورة يقاس بمقدار :

١ - وعيها التاريخي العلمي لمعنى دورها .

٢ ـ اتساع قاعدتها الجماهيرية .

٣ ـ قوة تنظيمها .

٤ ـ عمق رفضها لمعطيات المجتمع الفاسد ، وعمق تلقيها لقيم المجتمع الثوري المرتبط بمصلحة الجماهير .

٤ ـ البعث حركة جماهيرية

لا تكون الثورة ثورة الا بجماهيرها حين تكون الجماهير المسحوقة اداتها وغاياتها معاً .

كل ثورة لا تكون الجماهير اداتها ثورة ناقصة . ثورة فوقية .

كل ثورة لا تكون الجماهير غايتها ثورة محرفة . ثورة كاذبة .

في المجتمع الفاسد الذي ولد البعث رداً عليه ، الجماهير الكادحة مسحوقة محرومة مستغلة مخنوقة الطاقات .

هدف البعث تحرير هذه الجماهير من ربقة العبودية والاستغلال والحرمان والكبت ، واطلاق طاقاتها .

وسيلة البعث في ذلك ، الاعتماد على تحريك عوامل الثورة لدى الجماهير ، لتعي وضعها ، لترفضه ، لتثور عليه لتبني وضعاً تمسك فيه بمصيرها ومصير مجتمعها بيدها .

كل معركة تخوضها الجماهير خطوة في سبيل ايقاظ طاقاتها .

الوسيلة المثلى لتحريك الطاقات الثورية حمل الجماهير لعبء الثورة .

ليس لفئة ولا لطبقة أن تأخذ مكان الجماهير بالثورة .

اختصار طريق الثورة عن طريق القفز فوق الجماهير يطعن معنى الثورة الحقيقية .

الاستعمار والاقطاع والطائفية والعشائرية والدكتاتورية الفوقية الوان مختلفة من استمرار كبت الجماهير وسحقها والمحافظة عليها مكبوتة مسحوقة .

الجماهير المحرومة قد تقبل حرمانها ، وتحتال على احتماله بوسائل عديدة ، لاسيما حين يكون المجتمع ساكناً راكداً خالياً من عوامل التحدي الطارئة .

الجماهير التي لم تتعرض لريح الثورة تحمل في ذاتها كل عوامل التخلف على رغم انها ضحية التخلف .

تحرير الجماهير من كبتها هو الوظيفة الأولى للثورة وبشكل خاص للطليعة الثورية .

توفر الطليعة الثورية هو محرك روح الثورة لدى الجماهير ومنظمها وقائدها .

الطليعة هي التي تعي معنى الكبت ، معنى الحرمان ، معنى التخلف .

هي التي تدرك تناقض الاوضاع والعلاقات الاجتماعية السائدة مع المرحلة التاريخية ، هي التي ترفض هذا التناقض لتبدأ رسالتها التاريخية في الثورة عليه .

تركيب الطليعة ، من أجل أن تكون طليعة صادقة مع رسالتها يجب ان ينبع من هذه الجماهير نفسها .

٥ ـ البعث حركة قومية

في جميع البلدان التي تعرضت للاستعمار بشكل مباشر او غير مباشر الرفض الأول والأساسي موجه ضد الاستعمار .

التحدي الاستعماري هو العامل الأساسي الذي حرك المجتمع الراكد منذ مئات السنين ، وخلق فيه رد الفعل على التحدي .

من هنا كان التناقض الأساسي في مثل هذه البلدان هو بين الاستعمار والقوى المناضلة ضد الاستعمار .

أي ان الصراع في اساسه صراع قومي .

لذلك ، كان البعث حركة مناضلة ضد الاستعمار كان حركة قومية .

في عصور التخلف الطويلة تضيع الهوية .

في النضال ضد الاستعمار ، الواضح الهوية ، يجب أن تتضح هـوية المناضل . ويطرح الشعب المناضل السؤال على نفسه : من نحن ؟ ما هويتنا ؟

ولقد اجابت ظروف الصراع التاريخي نفسها عن هذا السؤال :

نحن عرب .
قال البعث : امة عربية واحدة .
آمن بوحدة الأمة .

وحـدة اللغة والتـاريخ والارض كـانت الأساس الـذي بنيت عليه وحـدة الأمـة العربية .

وحـدة المصالـح الاستعمارية على رغم اختـلافات دول الاستعمـار الجـزئيـة ، فرضت على الأمة العربية الوعي على وحدتها .

وحدة العدو كانت السبب في ادراك وحدة الذات . في وحدة المعـركة ، معـركة المصير الواحد .

معـركة النضـال ضد العـدو المشترك سلخت مسألة وحـدة الأمة من مستـواهـا النـظري لتضعها في مستـوى النضال الثـوري . الايمان بـوحـدة الأمـة لم يعـد مسـألـة نظرية . اصبح هدف النضال الوحدة العربية .

اصبحت وسيلة النضال ، النضال العربي المشترك .

لذلك ، خطا البعث الخطوة العملية الأولى حين جعل تنظيمـه قوميـاً ، متجاوزاً حـدود الافكار المجـزأة الحدود التي اختـطها الاستعمـار ، وحـافـظت عليهـا المصـالـح المحلية .

وخـطا البعث خطوتـه العملية الثـانية ، حـين جعل من معـركة كـل قـطر ضـد الاستعمار ، معركة الشعب العربي كله .

ادرك البعث ان الاستعمــار ليس احتـلالاً عسكـريـاً فحسب ينتهي بـالجلاء والاستقلال .

وعى المعنى العميق للحـركـة القـوميـة حـين وعى المعنى العميق لـلاستعمـار .

الاستعمار قد يكـون احتلالا عسكـريا ، وقـد يكون نفـوذاً سياسيـاً او معاهـدات غير متكافئة . وقد يكون تحالفاً مع انظمة حكم مماثلة .

ولكنه فوق ذلك كله استغلال اقتصادي وربط لمصالح البلاد بمصالح رأس المـال الاجنبية ، وامتيازاتـه واحتكاراتـه . والاستعمار لا يعتمـد في تنفيذ اغـراضه عى قـواه وحـدها . ان لـه جلفاء من الـطائفية والاقـطاع ومن العشائـرية ومن العنصـريـة ومن الرأسمالية المرتبطة به . الحركة القـومية ، لـدى البعث ، لم تعد مجـرد نضال من اجـل الجـلاء والاستقلال . بـل حركـة ثوريـة للخلاص من الاستعمـار ، ومن كل مـا يمثله الاستعمار مكشوفا كان او مبطناً ، وللخلاص من كل الاوضاع والعلاقـات التي تسهل لمصالح الاستعمار البقاء .

من هنا ، كانت قومية البعث جماع نظرته الثورية .

٦ ـ البعث حركة اشتراكية

من خلال معاناة الصراع القـومي كان لا بـد للحركـة القوميـة من أن تصبح في نفس الوقت حركة اشتراكية . اشتراكية الحركة القومية منبعثة من عاملين اثنين :

اولهما : ادراك أن الاستعمار نفسه ليس مجرد احتلال عسكري ولا نفوذ اجنبي . بل هو فوق ذلك ربط للبلاد الواقعـة تحت النفوذ الاستعمـاري بمصالـح الرأسمـالية ، المستغلة العالمية .

مقاومة الاستعمار تعني مقاومة النظام الذي يقوم عليه الاستعمار .

ثانيهما : ادراك الترابط الوثيق بين المصالح الاستعمارية وبين مصالح الـطبقات المحلية المالكة للأرض ولرأس المال وادراك حتمية انحراف هـذه الطبقـات عن متابعـة الخط الثوري السليم في مكافحة الاستعمار ونفوذه ومصالحه . مقاومـة الاستعمار تعني مقاومة المماثلين للاستعمار من المستغلين الذين تربط مصالحهم بمصالحه .

من رد الفعل السلبي هذا ومن خلال الصراع القومي ، اصبحت الحركة القومية حركة اشتراكية . وولـد الصراع الـطبقي . ولكن هذه الحـركة في تجاوزها لـرد الفعل السلبي وفي انطلاقها نحو البناء الخلاق وعت حقيقتين اساسيتين :

اولهما : أن لا مكان للاستغلال في أمة تقدمية حرة ، وإن الاشتراكية هدف ، لأنها النظام الوحيد الذي يطلق طاقات الجماهير ويحررها من الاستعباد والاستغلال ، ويطور الطاقة الانتاجية للوطن المتخلف .

ثانيهما : أن ثروة الأمة ملك للأمة . وان ادوات الانتاج لا بد ان تكون في يد المنتجين .

الاشتراكية مصير حتمي .

لأن الروح الثورية التي يخلقها النضال القومي في الجماهير تؤدي بالجماهير الكادحة وقد تحررت من رواسبها ، الى رفض الاستغلال بكل صوره . والاشتراكية وحدها هي النظام المناقض للاستغلال .

الاشتراكية ليست مجرد نظام اقتصادي يتحقق في مستقبل الأيام . إنها ، قبل ذلك ، وعي على القوى الفاعلة في المجتمع ، ووعي على مكان هذه القوى من المعركة القومية .

الايمان بالاشتراكية اذن ليس ايماناً بالمستقبل . بل هو ايمان اليوم ايمان في قلب المعركة .

ايمان بأن الجماهير الكادحة مكانها في قلب المعركة . هي مصدر القوة الدافعة في الحركة القومية . سواء في دورها السلبي ، أي مقاومة الاستعمار او في دورها الايجابي ، بناء الأمة .

تحرير الامة وتحرير الجماهير معركة واحدة لا معركتان . الجماهير الكادحة في هذه المعركة هي هدف التحرير ووسيلته معاً . جميع الذين هم مع تحرير الامة ، بصدق ووعي هم مع تحرير الجماهير ، مع الاشتراكية .

٧ ـ البعث حركة انسانية

البعث حركة عربية*، لا عالمية ، قومية لا اممية . ولكنه حركة تقدمية . ترفض الاستعمار والتخلف فكرياً ونضالياً . لا الاستعمار ولا التخلف مقصوران على العرب . وتحطيم الاستعمار في ارض الوطن العربي تحطيم للاستعمار في كل مكان

وانهاء لدور الاستعمار في العالم . وانهاء دور الاستعمار عمل حضاري ضخم . يقلب كل معطيات الحضارة الاستعمارية القائمة ، كما يقلب العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في كل من الدول المستعمرة واللامستعمرة : والانتصار على التخلف في ارض الوطن العربي ، مساهمة في الانتصار على التخلف في كل مكان ودفع للقوى التقدمية في انحاء العالم . ومن هنا فرسالة البعث القومية رسالة انسانية عالمية .

لذلك فالبعث يعي معنى التحالف الطبيعي بينه وبين جميع قوى الثورة والتقدم والاشتراكية في كل انحاء العالم . ويعي رسالته في العالم الثالث بشكل خاص وفي كل العالم بشكل عام .

البعث يتطلع الى تحقيق السلام .

ولكنه السلام الذي يستند الى الغاء الاسباب الموضوعية للحرب والعدوان لا السلام الشكلي القائم على الاتفاقات السطحية .

٨ ـ البعث ثورة شاملة

البعث ، الذي هو التطور الايجابي لرد الفعل السلبي للاستعمار له هدف اساسي واحد .

الهدف الأساسي للبعث هو تحريك قوى التاريخ التقدمية في الوطن العربي تحريكا ثورياً يحقق من خلال النضال ضد الاستعمار والتجزئة والتخلف ، خلق امة عربية واحدة تضمها دولة عربية واحدة ، في مجتمع اشتراكي متقدم ، تستعمل فيه الجماهير كل طاقاتها ، وتتمتع بحرياتها .

ومن هنا كان شعار البعث ، وحدة ، حرية ، اشتراكية .

ومن هنا كان ايمانه بترابط هذا الهدف ترابطاً موضوعياً .

فلا تقوم وحدة مع بقاء الاستعباد والاستغلال .

ولا تتحقق حرية الجماهير في ظل التجزئة والاقطاع والرأسمالية .

ولا تقوم اشتراكية في قطر متخلف مكبوت الجماهير مجزأ .

المجتمع العربي ، الموحد ، الحر ، الاشتراكي . . . ذلك هو هدف البعث .

الثورة والعقيدة

المسألة التي سنتناولها هنا عما اذا كانت الثورة ، أي ثورة ـ والثورة الفلسطينية بشكل خاص ـ عما اذا كانت الثورة في حاجة الى نظرية . لعل طرح هذا السؤال غريب في ذاته لولا ان هناك فعلاً من يقول وبشدة وبحزم ، في ان الثورة الفلسطينية ليست في حاجة الى نظرية ولم تكن في حاجة الى نظرية .

١) لأننا كما يقولون تعبنا من كثرة النظريات التي خضنا فيها خلال السنوات العشرين الماضية وانه لم يبقَ امامنا ان نزيد في هذا القول فإننا لن نصل الى نتيجة. ويقولون ايضا بأن عملية تحرير فلسطين هي عملية تحرير ارض وتحرير الأرض لا يحتاج الى نظرية وان النظرية المقبولة هي النظرية النابعة من فوهة البندقية .

في واقع الأمر أن في هذه الحجج كثيراً من مجانبة الحقيقة ، خلال السنوات العشرين الماضية التي سبقت عام ١٩٦٧ بشكل خاص ومحدد لم يتعب الشعب العربي من كثرة النظريات بقدر ما تعب من كبت النظريات واضطهادها ومحاولة قوقعتها ومنع انتشارها ومنعها من أخذ الهواء المطلق والنفس العميق ، لم يتح لها أبداً أن تتنفس ، أن تتطور وأن تصل الى عقول الناس ، إن الشعب العربي في تلك المرحلة لم يتعب من

(*) محاضرة القيت في عمان سنة ١٩٧٠ في مجمع النقابات المهنية .

كثرة النظريات وانما تعب من كثرة التآمر على النظريات ، تعب من انشغال النظريات في مجرد محاولة الابقاء على الوجود وبانهماكه في هذا الابقاء على الوجود انصرف عن واجبات كثيرة كان يجب ان يقوم بها لو كان اتيح له الجو المناسب لذلك .

المرحلة الماضية لا يمكن أن نسميها مرحلة النظريات ، المرحلة الماضية يمكن ان نسميها مرحلة اللانظرية اللاحزبية اللاجماهيرية مرحلة الكبت الجماهيري مرحلة قوقعة الجماهير في القواقع التي ارادتها لها الأنظمة المختلفة في الأقطار العربية اذاً الحجة الأولى في الواقع نحن لم نتعب من النظريات نحن لم نعانِ النظرية نحن لم نعشها لم نعطها النفس الكافي، الاكسجين الكافي لتكون فعلاً نظرية تثبت قدرتها على البقاء وجدارتها في الفعل .

اذا جئنا للحجة الثانية فهل صحيح أن تحرير الارض لا يحتاج الى نظرية ؟ صحيح ان تحرير الارض لا يحتاج الى نظرية لو كانت المعركة معركة جغرافية فحسب ، معركة بين الهند والباكستان على قرية هنا او قرية هناك او على مدينة هنا او مدينة هناك يمكن أن تمر بلا نظرية لو كان الخلاف خلافاً على قطعة من الأرض يمكن ان تمر بلا نظرية ، لو كان نزاعنا مع اسرائيل نزاعاً على أن تلحق طولكرم بالاردن او في اسرائيل مثلا لما احتاج الأمر فعلا الى نظرية .

المعركة الجغرافية وحدها ، هي التي تكون بلا نظرية لأن طبيعة المعركة الجغرافية انها تقبل بأساس الوجود لطرفي المعركة . هناك خلافات تحل ولكن اساس الوجود ليس مطروحا في المعركة الجغرافية ولذلك يمكن ان نقول ان في هذه الحالة يمكن ان نتجاوز النظرية وان نتجاوز العقيدة وان تكون هناك معركة مسلحة بسيطة هي التي تقرر اين تبدأ هذه القرية او أين تقف الحدود او أين ينتهي النزاع .

ولكن هل النزاع بين العرب واسرائيل هو من طبيعة هذه المعركة الجغرافية ؟

هل طبيعة هذه المعركة تقوم على أساس الاعتراف بالوجود المتبادل وكل ما في الأمر هو أن هناك خلافا يقوم على تحديد الحدود التي تقوم بين الدول العربية وبين اسرائيل ؟

اليس من الواجب في معركة كمثل المعركة التي تدور بين الشعب العربي وبين

الصهيونية أن نقرر انها معركة تدور على أرض فلسطين ولكنها ليست معركة جغرافية تقتصر على ارض فلسطين لأنها في واقع امرها معركة تاريخية ، معركة لها جذور في التاريخ فيقرر مصير اما الصهيونية كحركة استعمارية ومصير استعمار من جهة واما أن يقرر مصير معركة التحرير العربي ومعركة التحرير العالمي ضد الاستعمار والامبريالية من جهة اخرى .

إنها في شكلها تأخذ الشكل الجغرافي ولكنها في حقيقتها معركة مصيرية وبالتالي معركة تاريخية واول ما يقتضينا الاعتراف بأنها معركة تاريخية هو ان نعين بين من ومن تدور المعركة في تحرير الارض شكل المعركة وشكل تحرير الارض . أليس من الواجب اول واجب أن نعين ما هية العدو من جهة أليس من الواجب ايضاً أن نعين ماهية الثورة والثوار من جهة اخرى . او لسنا حين ننطلق في تعيين ماهية العدو وماهية الثورة والثوار ، او لسنا في الواقع نبحث في نظرية الثورة ، مثلاً من هو العدو ؟ هل العدو اولئك اليهود القاطنون في فلسطين فعلاً ؟ هل العدو مجرد شعب مشرد يطالب بأرض ؟ هل هؤلاء اليهود الموجودون في فلسطين يعيشون في مجتمع طبيعي ولدوا وخلقوا فيه وكل ما في الأمر أن بيننا وبينهم نزاع على حق العيش في تلك الارض ؟ هل لهم حق طبيعي للأرض كما للأكراد حقوقهم القومية مثلاً أم هو مجتمع مصطنع مفروض وبالتالي يقتضي حلولاً اخرى تختلف عن الحلول التي توضع من مجتمعات ذات الطبيعية المتصلة بالأرض والمتصلة بالتاريخ ؟ هل هؤلاء اليهود لاجئون هاربون من اضطهاد ، ليس لهم مكان يعيشون فيه في انحاء العالم فنفتح لهم صدورنا ونقبلهم بيننا كما قبلنا اليوم وقبل اليوم كثير من اللاجئين ، وبيننا نحن اليوم يعيشون الأرمن او لاجئون من اضهاد عانوه سابقاً وبيننا الشركس الذين لجأوا أيضاً من اضطهادعاشوا فيه سابقا ففتحت لهم قلوبنا وما زالت مفتوحة لهم . وأصبح وطننا وطنهم وحقوقنا حقوقهم وواجباتنا واجباتهم ، ما هو الفرق بين الصهيونية واليهودية ؟ ما هي الصلة بين الصهيونية وبين الامبريالية ؟ هل يمكن أن نقاوم الصهيونية دون أن نقاوم معها الاستعمار والامبريالية ؟ هل يمكن ان تكون حربنا حرباً صادقة ضد الصهيونية اذا اردنا ان نفصل بين الصهيونية وبين الاستعمار وان نتحالف مع الاستعمار او نمالىء الاستعمار او نمالىء الدول التي هي رأس الامبريالية في العالم من جهة وأن ندعي حرب الصهيونية ومن جهة اخرى وفي الوقت نفسه ؟ هل يمكن اقامة جركة يسارية

مناهضة للصهيونية داخل اسرائيل بين اليهود القاطنين في فلسطين والمهاجرين اليها مع ايمان بوجوب اقامة دولة صهيونية ؟ هل يمكن اقامة حركة يسارية مناهضة للصهيونية داخل اسرائيل يمكن معها للحركات اليسارية التقدمية العربية مثلا ان تتحالف معها وان تقف ضد الصهيونية كعدو مشترك ؟ هل طبيعة الصهيونية النازية العنصرية العرقية الثيوقراطية المتعصبة المتغطرسة المعتدية التوسعية ، هل هذه الطبيعة مجرد صدفة خلقت لأن زعامات اسرائيل كانوا بن غوريون او دايان وأن اختلاف الزعامة في اسرائيل وبالتالي تغيير اشخاص الزعماء قادر على تغيير طبيعة الصهيونية او اجراء تغيير اساسي فيها ؟ هل هذه الطبيعة صدفة أم هي من طبيعة الفكرة الصهيونية ومن طبيعة ولادتها في ظرف تاريخي معين وتحت شروط معينة ؟ ان جواب كل سؤال من هذه الأسئلة معناه في الواقع تحديد نظريتنا بالنسبة للعدو وبالتالي تحديد اسلوب عملنا ، هل يمكن ان نحارب من اجل تحرير الارض قبل ان يكون في فكرنا وذهننا صورة ما عن أجوبة هذه الاسئلة ؟ فإذا كونت هذه الصور افليست هذه الصورة عندئذ هي ما يسمى في النظرية ؟

مثلاً لو كان اليهود مجرد لاجئين هاربين من اضطهاد لكان حل مشكلتهم واضحا في الواقع عندما جاء اليهود بدفعاتهم الأولى سنة ٨١ ـ ١٨٨٢ هاربين لاجئين من الاضطهاد الروسي الضخم الذي تعرضوا له في أيام روسيا القيصرية في ذلك الوقت واسسوا مستعمراتهم الأولى في الجليل الأعلى ثم بعد ذلك اتبعوها في مستعمرات اخرى في اماكن اخرى لم يعارضهم معارضة حقيقية السكان العرب وانما عاملوهم كلاجئين هاربين من اضطهاد واستضافوهم بينهم . وفي الواقع لعل قسماً كبيراً من الذين جاءوا في ذلك الوقت لم تكن بعد فكرة الصهيونية قد ولدت في رأسهم تماماً . اولئك المهاجرون الأولون، او لعل بعضهم كان قد تكونت عنده هذه الفكرة انما رد الفعل العربي في ذلك الوقت كان مثل رد فعل العرب حين جاءهم الأرمن او حين جاءهم الشركس وعاشوا بينهم لاجئين من الاضطهاد .

لو كان المجتمع الاسرائيلي قادرا على خلق حركة يسارية مناهضة للصهيونية ايضاً لأثر ذلك على طبيعة عملنا وطبيعة معرفتنا في هذه الحالة يجب ان يكون من ضمن استراتيجيتنا للعمل ان نتوجه الى هذه الحركة اليسارية وأن نطلب منها أن تقف معنا في حربنا ضد الصهيونية . ولكن الصهيونية كما هي في واقع الأمر ليست مجتمعا

طبيعياً ككل المجتمعات التي نعرفها في انحاء العالم ، حتى المجتمع الامريكي في الولايات المتحدة . والولايات المتحدة كما تعلمون جميعاً رأس الامبريالية في العالم ورأس الرأسمالية المسلطة ،حتى الولايات المتحدة فيها حركات يسارية اصيلة تقوم على رفض هذا الدور الامبريالي الذي تقوم به الدولة والمؤسسات التي تسير الولايات المتحدة التي يسمونها ESTABLISHMENT المؤسسة الاساسية التي تمثل الولايات المتحدة حتى في الولايات المتحدة ، رأس الامبريالية في العالم ، يمكن أن تقوم تحركات من هذا النوع هل يمكن أن تقوم حركات من هذا النوع في اسرائيل ؟

في واقع الأمر ان كل المجتمع الصهيوني مجتمع مصطنع وهو بطبيعته كمجتمع ، ككل ، كفكرة ، كطبيعة قائم على أساس أن يكون استعماراً وأن يكون رأساً للامبريالية وأن يكون مجتمعاً مصطنعاً مفروضاً من الخارج على مجتمع طبيعي هو المجتمع العربي القائم في فلسطين . وكل يهودي هاجر الى اسرائيل بغرض الاقامة فيها في ظل الدولة الصهيونية هو صهيوني وبالتالي غير قادر على ان يقوم في حركة يسارية مناهضة للصهيونية لأنه لو كان قادراً على ذلك لما جاء أو لو كان قادراً على ذلك لما هاجر وترك . كل مجتمع في الدنيا طبيعي قادر على أن يخلق الحركة اليسارية التقدمية من قواعده الطبيعية ،المجتمع الصهيوني هو المجتمع الوحيد في العالم الذي لا يمكن ان يقدر في يوم من الأيام على خلق حركة يسارية اصيلة مناهضة للصهيونية إلّا حين تنهزم الصهيونية انهزاماً كاملاً وشاملاً ويفقد الأمل تماماً في وجود أي دور لاسرائيل في الأرض العربية .

فإذا كانت الصهيونية كذلك فمعنى ذلك ان الصهيونية ليست ذات طبيعة استعمارية فحسب ، مصطنعة فحسب ، بل هي في طبيعة تكوينها ذات طبيعة فاشية نازية وطليعة من طلائع الامبريالية العالمية وبالتالي كان لا بد لنا من الاستنتاج من أن معركتنا الحقيقية حين توجه ضد الصهيونية لا بد لها أن توجه في نفس الوقت ضد الامبريالية وانه لن يكون هناك موقف صادق وحقيقي وعنيف من الصهيونية بمحاولة الوقوف موقف الممالىء للاستعمار والمعاداة للصهيونية اليهودية .

اذاً البحث في هذه المواقف هو في الواقع بحث عن نظرية ، يأتي السؤال الذي يقرر ما هي الثورة ؟ ومن هم الثوار ؟ هل هم فقط الفلسطينيون الذين فقدوا دورهم

واراضيهم وبالتالي هل فقد الدار هو في ذاته السبب الوحيد والأساسي للثورة ؟لو كان جواب هذا السؤال بالايجاب لما كان على السكان في الضفة الغربية قبل عام ١٩٦٧ ان يشتركوا بالمعركة وكان فقط على الذين فقدت دورهم ان يشتركوا اذاً لغاية الـ ٦٧ بحسب هذه الحجة لم يكن على الفلسطينيين أن يقاتلوا كان على جزء من الفلسطينيين ، أن يقاتلوا هم اولئك الذين سلبت منهم اراضيهم ودورهم . بعد الـ ٦٧ حلت هذه المشكلة واصبحت بمعنى من المعاني جميع الفلسطينيين فقدوا دورهم واراضيهم ومزارعهم وبهذا اصبح واجب القتال عليهم جميعاً ، أيضاً إن عام ٦٧ لم يقتصر على فقدان فلسطين وحدها وإنما امتد التوسع حتى اشتمل جزء من القطر السوري وجزء من القطر المصري وبذلك كان لا بد اذاً في هذين القطرين على الأقل أن يشتركا في معركة لاسترجاع الأرض المسلوبة ولو كانت المعركة كما قلنا في بدء الحديث معركة جغرافية فحسب لوقف دور الحرب عند هؤلاء لأن البقية لا ناقة لهم في هذه الحرب ولا جمل ، لم تسلب اراضيهم ولم تحتل دورهم ولم يلجأ أحد من السكان القاطنين فيها . ام أن الثوار هم الشعب وانما كان قيام اسرائيل طعنة في حركة التحرر كلها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وكان قيام اسرائيل عقبة امام وحدة هؤلاء العرب في دولة واحدة ، عقبة امام وضع كل طاقات الأمة العربية في سبيل تقدمها الاقتصادي وبناء حضارتها المقبلة عقبة امام استغلال العرب لبتروهم الحقيقي ، عقبة لإقامة كل أنواع التناقضات الفرعية وغير الفرعية بين الأقطار لاستدامة هذا الوضع الرجعي القائم في الوطن العربي في الوقت الحاضر .

اذا كانت اسرائيل معناها احتلال ارض فتلك قضية ، اذا كان وجود اسرائيل تعطيلاً لحركة التحرير العربي كلها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودفع الأموال الطائلة في تقوية جيوش لتقف امام العدوان وهي كانت قادرة لو لم تكن اسرائيل على أن تبذل هذه الأموال بما هو اجدر على مستقبل الأمة العربية اجمع . اذا كان الشعب العربي كله تضرر فعلاً من وجود اسرائيل كان على الشعب العربي كله أن يخوض المعركة من اجل التحرير . •

هذا الشعب العربي المسؤول ، عن تحرير الأرض .

هل كله تعني شعبه وجماهيره ودوله ومؤسساته في شكلها القائم حالياً وطبقاته

المختلفة او فئاته المتناقضة ومصالحه أيضاً المرتبطة بالاستعمار في الوقت الحاضر ؟ ماذا نعني هنا في هذه الكلمة واجب من القيام بالمعركة ؟ من هو القادر فعلياً على دخول هذه المعركة ؟ هل هناك متخل عن الواجب ؟ هل هناك من يحاول أن يستسلم وأن ينقذ ما يمكن انقاذه ؟ او يكتفي بازالة آثار العدوان ؟ او يفكر في صلح ما يرجع لبعض العرب بعض حقوقهم او ما شابه ذلك ؟

هل هناك بين العرب هذه التناقضات الفرعية او الاصيلة القائمة فعلاً ، أليس تحديد الموقف من هذه المؤسسات والأنظمة والطبقات هو موقف ايديولوجي نظري معين ؟

واذا نحن حسبنا ان هناك تناقضاً او فرقاً ايديولوجيا ألم نضع نظرية للثورة وبين هذه الأنظمة وهذه المؤسسات او بينها وبين بعضها ؟ الم نقف موقفاً ايديولوجياً ؟ ألم نضع نظرية للثورة ؟ هل جميع طبقات الشعب بنفس النفس تخوض المعركة وتقوم بالثورة بنفس النفس في نفس الاندفاع وبنفس الايمان وبنفس الربط بين الصهيونية وبين الحركة الامبريالية وبين **المصالح الرأسمالية الامريكية الموجودة فعلاً في الوطن العربي ؟ فإن علينا ان نجيب هل الذين ترتبط مصالحهم مباشرة بالمصالح الامريكية القائمة ؟ هل هم قادرون على ان يربطوا في المعركة بين المصالح الامبريالية وبين المصالح الصهيونية في الوقت نفسه وان يقاتلوهما معاً** ؟ واذا كانوا قادرين نتساءل اذاً من أين تأتي طلبات الحلول الاستسلامية ، التصفوية وما شاكل ذلك ؟ هل يمكن اذاً حين نقول ان الشعب العربي في ثورة ؟ هل نعني بذلك أن كل الشعب العربي بجميع مؤسساته ودوله وانظمته في جميع فئاته واحزابه وطبقاته هو فعلاً في المعركة ؟ واذا كان ثمة اختلاف لا يستدعي بحث هذا الاختلاف انطلاقاً من نظرة وبالتالي انطلاقاً من نظرية ؟ هل ما نسميه بقوى الثورة المضادة موجود ام غير موجود ؟ فإذا كان هذا الذي نسميه بقوى الثورة المضادة موجوداً فهل له طبيعة معينة ينبع منها وارتباط متخلف لم يفهم بعد معنى الثورة بالصدفة ، لو اتحنا له بعض الوقت لفهمها وفهم مع بقية الشعب العربي معنى الثورة ام هو تخطيط مسبق هادف يعرف ما يرد اليه ويحاول أن يصل الى ما يريد اليه ؟ إن جواب كل سؤال من هذه الاسئلة معناه تحديد نظريتنا من الثورة ومن الثوار ومن القوى المساندة للثورة ومن القوى المناهضة للثورة .

حركة هذه القوى وعلى تغيرات هذه القوى ، النظرية اذاً ليست ايماناً أعمى . النظرية فهم وفهم مفتح الذهن ، النظرية فهم علمي وموضوعي للتاريخ يقترب من منطقة العلم اقرب اقتراب ، بالقدر الذي يمكنه فيه لأي نظرية تتعلق بالانسان والمجتمع الانساني وفي العلاقات الانسانية ان تقترب من منطقة العلم .

النظرية اذاً ليست فيها كلمة يجب . النظرية ليست اخلاقاً. الايديولوجية ليست اسلوب عمل ، النظرية فهم للتاريخ قائم على استقراء منطق التاريخ وتطوره واستنتاج القوانين التي تفسر لنا هذا التغيير ليس في النظرية كلمة يجب ابداً ، ليست فيها قواعد اخلاقية محضة ، ليس من صلبها أن يكون فيها اسلوب عمل وان كانت النظرية هي الدليل النظري لأسلوب العمل الذي لا بد أن يستنتج من النظرية ، فالنظرية تصبح بهذا المعنى منهجا او دليلا لاسلوب العمل ، اسلوب نرسمه نحن لا يرسم لنا في نظرية نرسمه نحن استنتاجا من فهمنا العلمي - التقريبي - للنظرية والايديولوجية .

من معرفتنا لقوانين التاريخ الماضي يمكن ان نحلل مواقفنا في الحاضر والقوى المتصارعة في الحاضر ومعنى هذه القوى وموقفها من التاريخ وان نحدد موقع قوانا والقوى المتصارعة معنا وأن نحدد اسلوب عملنا في هذا الصراع .

الى هنا نكون قد وصلنا الى استنتاج بسيط ولكن اصيل هو ان الثورة الفلسطينية ككل عمل تاريخي اصيل ليست وليد صدفة ولن يكون اسلوب عملها مقرون بالصدفة وانما بحاجة الى فهم نظري ينير لها الطريق . وهذا الفهم لا بد ان يزداد تعقيدا كلما تعقدت طبيعة المعركة وصعبت فالصراع في فلسطين صراع أشد تعقيداً من أي صراع مماثل شهده العالم الحديث في أي منطقة من المناطق في العالم ، فهو اذاً اكثر حاجة الى النظرية من أي صراع آخر .

فإذا اقتنعنا في ان الثورة الفلسطينية في حاجة الى فهم نظري لها والى اوضاعها فثمة بعض الاسئلة الجانبية التي لا بد أن تطرح نفسها في ساحة المعركة .

اولى هذه الاسئلة : هل ثمة حاجة لارتباط هذا الفهم النظري لثورة محدودة بالذات كالثورة الفلسطينية مثلاً بنظرية تاريخية عامة شاملة للجواب عن هذا السؤال يجب ان نذكر حقيقتين :

١ ـ إنه ليس في العالم كله ثورة طبق الأصل من ثورة أخرى ، كل ثورة لها خصائصها الضرورية التي تتميز بها في المقابل ثمة حقيقة ثانية .

٢ ـ ليس في العالم كله ثورة مقطوعة عناصولها وعن تاريخ الثورة في العالم وعن تاريخ العالم كله وبالتالي فليس هناك ثورة في العالم لها قوانين خاصة بها مغايرة كل المغايرة للقوانين التي تسير التاريخ كله ، لأنها هي في طبيعتها جزء من صراع قوي لم تقم في عام ٦٧ ـ ٦٦ ـ ١٩٦٥ حين قامت الثورة وإنما هي نتيجة طبيعية لتاريخ ممتد على الأقل ممكن أن نقول الى القرن التاسع عشر لأن الصهيونية ولدت في القرن التاسع عشر على الأقل الى القرن السابع عشر لأن الرأسمالية التي ولدت في حضنها الصهيونية امتدت الى الثورة الصناعية التي قامت في النهضة الاوروبية الحديثة بالمجموع ، وبالتالي عندما نريد أن نرجع الى اعماق التاريخ نجد أن الثورة الفلسطينية القائمة حالياً ولدت في يوم معين في ظرف معين ولكنها لم تولد مقطوعة من شجرة ولدت وهي جزء من هذا التاريخ لا يمكن ان ينفصل عنه .
وبذلك فإن الفهم العلمي الصحيح والموضوعية الصحيحة للصهيونية والاستعمار والامبريالية ، والتي هي وجه آخر لنفس الموضوع ، لا بد أن يرجع بنا الى دراسة قوانين التاريخ كلها وبالتالي فالنظرية وان كان لا بد علنياً ان نطورها بعض التطور لتلائم اوضاع جديدة لم تكن موجودة في التاريخ وبما أن التاريخ شيء متطور وهو يتغير من يوم الى يوم فعلم التاريخ لا يمكن ان يكون ثابتاً ابداً بشكل غير متطور اذاً الثورة الفلسطينية وأي ثورة اخرى كما هي تستقي من التاريخ ، هي في نفس الوقت تضيف الى هذا التاريخ .

السؤال الثاني الذي لا بد ان يرد وهو يرد يوميا ونسمعه كل يوم هل النظرية شيء يمكن تأجيله إلى ما بعد انتصار الثورة ام انها شيء مُلح اثناء الثورة لا بعدها فحسب ؟

الذين يقولون بتأجيل النظرية يتوهمون أننا نعني بالنظرية نظاماً معيناً اقتصادياً او غير اقتصادي لا يمكن اقامته او تطبيقه الا بعد استقرار لمجتمع الثورة ، فهم يقولون مثلا مالنا وما للاشتراكية الآن لنترك ذلك الى ما بعد التحرير . ولكن النظرية ليست ولا يمكن ان نعني بها نظاماً اقتصادياً معيناً لا يمكن تطبيقه إلا بعد التحرير. النظرية

١ ـ إنه ليس في العالم كله ثورة طبق الأصل من ثورة أخرى ، كل ثورة لها خصائصها الضرورية التي تتميز بها في المقابل ثمة حقيقة ثانية .

٢ ـ ليس في العالم كله ثورة مقطوعة عناصولها وعن تاريخ الثورة في العالم وعن تاريخ العالم كله وبالتالي فليس هناك ثورة في العالم لها قوانين خاصة بها مغايرة كل المغايرة للقوانين التي تسير التاريخ كله ، لأنها هي في طبيعتها جزء من صراع قوي لم تقم في عام ٦٧ ـ ٦٦ ـ ١٩٦٥ حين قامت الثورة وإنما هي نتيجة طبيعية لتاريخ ممتد على الأقل ممكن أن نقول الى القرن التاسع عشر لأن الصهيونية ولدت في القرن التاسع عشر على الأقل الى القرن السابع عشر لأن الرأسمالية التي ولدت في حضنها الصهيونية امتدت الى الثورة الصناعية التي قامت في النهضة الاوروبية الحديثة بالمجموع ، وبالتالي عندما نريد أن نرجع الى اعماق التاريخ نجد أن الثورة الفلسطينية القائمة حالياً ولدت في يوم معين في ظرف معين ولكنها لم تولد مقطوعة من شجرة ولدت وهي جزء من هذا التاريخ لا يمكن ان ينفصل عنه .
وبذلك فإن الفهم العلمي الصحيح والموضوعية الصحيحة للصهيونية والاستعمار والامبريالية ، والتي هي وجه آخر لنفس الموضوع ، لا بد أن يرجع بنا الى دراسة قوانين التاريخ كلها وبالتالي فالنظرية وان كان لا بد علنياً ان نطورها بعض التطور لتلائم اوضاع جديدة لم تكن موجودة في التاريخ وبما أن التاريخ شيء متطور وهو يتغير من يوم الى يوم فعلم التاريخ لا يمكن ان يكون ثابتاً ابداً بشكل غير متطور اذاً الثورة الفلسطينية وأي ثورة اخرى كما هي تستقي من التاريخ ، هي في نفس الوقت تضيف الى هذا التاريخ .

السؤال الثاني الذي لا بد ان يرد وهو يرد يوميا ونسمعه كل يوم هل النظرية شيء يمكن تأجيله إلى ما بعد انتصار الثورة ام انها شيء مُلح اثناء الثورة لا بعدها فحسب ؟

الذين يقولون بتأجيل النظرية يتوهمون أننا نعني بالنظرية نظاماً معيناً اقتصادياً او غير اقتصادي لا يمكن اقامته او تطبيقه الا بعد استقرار لمجتمع الثورة ، فهم يقولون مثلا مالنا وما للاشتراكية الآن لنترك ذلك الى ما بعد التحرير . ولكن النظرية ليست ولا يمكن ان نعني بها نظاماً اقتصادياً معيناً لا يمكن تطبيقه إلا بعد التحرير. النظرية

أعمق من ذلك وأشمل ، النظرية فهم عام لمراحل التاريخ وللقوى المحركة للتاريخ في أي مرحلة من المراحل ، وبالتالي فالنظرية لا تحد لنا نظاما للمستقبل فحسب بل تحدد لنا قوانا في معركة الحاضر ، تحدد لنا اسلوب عملنا ايضاً وترسم لنا اسلوب عملنا في الوقت الحاضر تحدد لنا نوعية القوى المختلفة في المعركة ، تحدد لنا مصادر قوتنا ، تحدد مصادر قوة العدو ، تحدد ارتباط كفاحنا اليومي المسلح بجوانب حياتنا كلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية وان النظرية هي المعين الذي أخذ منه الثورة قواها وهي المعين الذي يدلنا أيضاً من اين يأخذ العدو قواه ومن أين تأخذ القوى المضادة قواها .

خلاصة الكلام هو ان الاستغناء عن النظرية معناه الاستغناء عن كل ما تعلمه الانسان في تاريخه الطويل معناه أن كل تاريخنا وتاريخ الانسانية عبث ، معناه البدء من الصفر . النظرية معناها البدء من حيث توصل الانسان في تاريخ الانسان والاستفادة من كل ما حققته في هذا التاريخ . ورفض النظرية تماماً مثل رفض التعليم والمدارس ، المفروض من التعليم في المدرسة أن لا يبدأ الطلاب من حيث بدأ الفينيقيون من اختراعاتهم الألف والباء (أ ، ب) وإلا لتركنا لكل انسان أن يخترع الف باءه لوحده . وظيفة المدرسة أن تعطينا خلاصة العلم الذي اكتشفه الانسان خلال القرون الماضية وتضعها لنا في ملخص يمكن ان يفتح لنا الطريق في حياتنا . لو كانت النظرية غير ضرورية لوجب علينا اقفال كل مدارسنا وندع كل انسان ان يبدأ من الصفر ، أن يخترع النار ، وان يخترع الألف باء وليخترع الدولاب اذا تمكن من ذلك .

١٩٧٨